

لا دمج للحشد الشعبي

د. ماجد السامرائي
كاتب عراقي

جون بولتون في مايو الماضي من "أن استخدام إيران للمجموعات الشيعية التابعة لها في العراق لمهاجمة المصالح الأميركية سيواجه برد قوي".

هذا الظرف الصعب وضع رئيس الحكومة العراقية عادل عبدالمهدي أمام مسؤولية حرجة باعتبارها الحاكم الأول المسؤول عن حماية العراقيين، ووجد بعد تكرار تلك العمليات التخريبية المكتسوفة من قبل طهران أنه لم يعد قادراً على التغطية أو التبرير، وأن النظام الإيراني لا يبالي بما يمكن أن يقع فيه العراق من مشكلات تهدد أمنه الوطني وتؤدي إلى حرج جدي للحكومة. وهو يعلم بعدم قدرته على التحرش بمؤسسة "الحشد الشعبي" الممتلئة لـ 150 ألف مقاتل إلى جانب قوتها السياسية المتمثلة بأئتلاف "فتح" بزعامة هادي العامري مسؤول منظمة بدر، وقيس الخزعلي زعيم عصائب أهل الحق، وهما اللذان جاءا به إلى رئاسة الوزارة إلى جانب ائتلاف "سائرون" بزعامة مقتدى الصدر، وعبدالمهدي متمسك بمنصبه وليس كما يشاع عن وضع استقالته في جيبه. لهذا اشتغل بهائنه الناعم وعمق تجربته السياسية، وتوصل بعد حوارات معمقة مع طهران وزعامات الحشد إلى تخريج الية تهدئة عبر عنها بالأمر الديواني في الأول من يوليو الحالي بتنظيم وضع الحشد الشعبي بصورة توحى بإعادة هيكلته وضبط انقلاط مقراته وإنهاء تجاوزات بعض منقلبه، وإخفاء أسماء تلك الفصائل المطاردة من الولايات المتحدة، وتأكيد ارتباطه بقائد القوات المسلحة وغيرها من الفصائل التي صورت وكأنها ثورة على الحشد الشعبي وإدماجه بالقوات المسلحة.



ما حصل رسالة سياسية

إلى واشنطن هدفها إبعاد الاتهامات عن مؤسسة الحشد الشعبي في العراق بكونها مرتبطة برئيس الحكومة وليست بإيران، والخطوة تشكل عمليات تطهير لبعض غير المنضبطين ستتم خلال هذا الشهر

هذه التفسيرات المضخمة بعيدة عن واقع هذا البيان الإجماعي. وخير من فسره أحد قادة الحشد الشعبي، أحمد المصنوصي، في مقابلة تلفزيونية قال فيها إن قرار رئيس الوزراء مطبق فعلياً ولا جديد فيه، وأكد ذلك الناطق باسم الحشد كريم النوري معتبراً أن القرار سبق أن اتخذ رئيس الوزراء السابق حيدر العبادي لكنه لم يطبقه، أما بيان حزب الله العراقي فقد طالب بشمول البشمركة الكردية بإجراءات ولاية رئيس الوزراء.

وهذا مما يؤكد أن ما حصل هو رسالة سياسية إلى واشنطن من بغداد هدفها إبعاد الاتهامات عن مؤسسة الحشد الشعبي في العراق بكونها مرتبطة رسمياً برئيس الحكومة وليست بإيران، وأن الخطوة تشكل عمليات تطهير لبعض غير المنضبطين ستتم خلال هذا الشهر، لكن هذا الإحياء السياسي قد يكون له جانب مستقبلي خطير إذا حصلت مجدداً هجمات صاروخية أو أعمال تخريبية من داخل العراق ضد المصالح الأميركية بالذات، أو ضد جيران العراق من دول الخليج العربي في ظل تعنت نظام طهران ودخوله لعبة العناد الانتحاري بعد الإعلان عن مباشرة عمليات تخريب البيروانيوم غير المسموح به، إضافة إلى عدم وضوح مواقف الفصائل المعنية أكثر بالهجمات الأخيرة.

والسؤال المهم: هل إن عادل عبدالمهدي اتفق مع النظام الإيراني بالتوقف عن هذه العمليات؟ وأن الحرس الثوري الإيراني سيلتزم بذلك، وهل سيتم استبدال هذه الانتهاكات بنمط جديد من التخريب الإيراني بعيد الشكوك عن فصائل الحشد الشعبي أو القوى المسلحة غير المتمثلة بتعليمات الحكومة العراقية؟ الأيام القادمة ستجيب على هذه التساؤلات.

حين تتعرض الشعوب والأمم إلى احتلال وغزو خارجي فإنها تنتفض وتنتظم بجحافل وميليشيات مسلحة بواسطة جيوشها الوطنية أو بتنظيماتها الشعبية لتدحر العدوان وتطرده من أوطانها. الأمثلة القريبة لنا تتمثل في حرب شعب الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي، لكن سياسيه صادروا مبادئ الثورة وأضاعوها بعد عقود قليلة بسبب غول السلطة، وشعب فلسطين الذي طرد من وطنه وتحول إلى أول عنوان عربي للجوء والهجرة. والمثال الأقرب إلى العراقيين تصديهم لاحتلال الإنكليز عام 1920 وتصديهم للعدوان الإيراني المسلح بشيعتهم وستنتهم وكل قومياتهم لست سنوات ما بين 1982 إلى 1988 بعد رفض طهران وقبول العراق لقرار مجلس الأمن بإيقاف الحرب. ومقاومتهم المسلحة للاحتلال الأميركي عام 2003 التي غدر بها من قبل السياسيين جياح المال والجاه الذين قاibusوا السلطة بكل قيم الأرض والسماء فتهادونا وخدموا الاحتلال العسكري والسياسي،

ووضعوا مسطرة طائفية مقيتة كافات الشيعة المقاوم بمزايا المناصب والخطايا ولم تكف بحرمات السني من حقوق المواطنة بل تمت مطاردته وتحويله بفعل مكر وخداع أمراء الطائفية السنة والشيعية إلى "إرهابي" رغم كل الحقائق التي تنفي هذه الفرية. وكان تصدي أهل الأنبار وصالح الدين وديالى والموصل لعصابات داعش المثال المنجد لأصالة العراقيين وتصديهم الشعبي البطولي إلى جانب القوات المسلحة وطردهم لتلك القلوب المغطاة بالإسلام المتطرف من أرض العراق في ديسمبر 2017 تاريخ انتهاء حرب تحرير الأرض.

كان من الطبيعي أن يعود الرجال الشجعان إلى عوازلهم بعد انتهاء المهمة الوطنية مكلمين بالنصر، لكن بعض الأحزاب والقوى الشيعية التي كانت لديها ميليشيات مسلحة قبل حرب عام 2014، استثمرت الحالة الشعبية سياسياً لتلقي على تنظيمات "الحشد الشعبي" التي شرع لها إطار قانوني في البرلمان كقوة رديفة للجيش العراقي الذي همشت وظيفته كمدافع أول عن الوطن، محاطة بهالة من القدسية التي ارتبطت بواقعة الدفاع عن العراق. وكانت نتائج هذا الاستثمار السياسي الحصول على مواقع برلمانية وسياسية متقدمة في هيكل الحكم.

كان يمكن لهذه المكافأة أن تتحول إلى برامج لسياسات تخدم المواطن العراقي ضمن حالة التنوع الديمقراطي المفترض حتى في إطار الإسلام السياسي الذي اكتسفت حقيقته بتخليه عن مصالح الناس. شرعت بعض الزعامات الشيعية التي لديها ميليشيات مسلحة واحتلت مواقع سياسية كبيرة بأن استحقات هذه المواقع تفرض عليها خطاباً إعلامياً مهادناً في ظل سخونة المعركة السياسية الإيرانية الأميركية، واحتمال انفجار لهبها في أي لحظة واكتشاف الحالة العراقية بعد أن فتحت إيران أبواب خيارها الاستراتيجي الوحيد بجعل العراق ساحة المنازلة الأولى ضد واشنطن والعواصم العربية عن طريق استخدام الأدوات الوكيلية للقيام بأعمال تخريبية داخل العراق كسلسلة عمليات صواريخ الكاتيوشا، أو تحويل الأراضي العراقية إلى منصات دعوان عسكري ضد السعودية، أو الاعتداء المباشر ضد السفارة البحرينية. هذه الرسائل التخريبية رغم خطورتها ساعدت على تحقيق التحام سياسي ولوجستي بين الولايات المتحدة والعرب، وتطوره إلى تحالف أوروبي عالمي رغم بطئ الحركة الأوروبية اللاهثة وراء مصالحها كالعادة وانتهائية الموقف الروسي.

كانت واشنطن واضحة مع القيادة السياسية العراقية، وكان ردّها على العدوان الإيراني على المصالح الأميركية يعني بصورة مباشرة الرد العسكري على استفزازات بعض الفصائل الميليشياوية التابعة لطهران داخل العراق الذي سيحول رغماً عنه إلى حليف داعم لعدو واشنطن إيران. وتوضح ذلك مع التحذير الذي أطلقه مستشار الأمن القومي الأميركي



العراق.. «الحرس الشعبي» يحمل بذرة موته

والميليشيات أقوى من الجيش والقوات الأمنية العراقية عدة وعدها، حتى أن هذه الميليشيات تمتلك أسلحة ثقيلة قد لا يمتلكها الجيش نفسه، كما تمتلك طائرات مسيرة تستطيع استهداف أي مكان. فهذه الميليشيات مظهر من مظاهر الاحتلال وستبقى موجودة مادام الاحتلال موجوداً وحتى يستعيد الشعب عافيته فتصبح إفرزات الاحتلال ومنها الميليشيات من الحكايات المؤلمة السابقة.

لكن فات المهندس ويقوت الولي الفقيه أن "الحرس الشعبي" ما هو إلا تجمع طائفي قائم على الكراهية والانتقام، وتلك هي بذرة موته التي يحملها معه منذ ولادته، طبقاً لقوانين التاريخ الوطني بصفته طارناً على الحياة العراقية وخارجاً على ترتيبات الواقع.

ما قاله المتحدث باسم مشروع ولاية الفقيه في العراق أبو مهدي المهندس هو تعبير عن صفحة من صفحات الإستراتيجية الموجهة ضد العراق، والتي ستنهت نهايتها على يد العراقيين أنفسهم عاجلاً أم آجلاً. وإن غدا لناظره قريب.

تسلحها ونشاطها الإرهابي، فلم يصنع نظام الولي رصاصاً واحدة إلا واستهدف بها العرب، ولم يكتف يوماً لا لشعب إيران ولا لشعوب المنطقة. لا يحق لإيران أن تبكي كضحية وقد قتلت الآلاف وشررت الملاحة الدولية في مياه الخليج العربي، إلى التخلي التدريجي عن بنود الاتفاق النووي، مروراً باستهداف محطات طاقة وتجمعات تضم أميركيين في المنطقة، بالإضافة إلى الاعتداء على دول الجوار؛ كلها أدوات ابتزاز تمارسه إيران بحق العالم ككل والجوار العربي بشكل خاص. ابتزاز فقط وليس مقاومة.

لا تعتبر طهران اليوم أو حتى قبل أربع سنوات، مظلومة في المفاوضات على برنامجها النووي. لا يمكن التعاطف معها في مواجهة العقوبات الأميركية على برامج

وتلك هي رسالة ولاية الفقيه الأخرى ومفادها أن الحشد (حرس المستوطنة الخضراء) لن يتزحج من موقعه، ولن يستجيب لأي نداء من خارج طهران بوصفه القوة الأعظم، ولعله تأكيد إضافي أن جبهة مستوطني المنطقة الخضراء من الأحزاب والميليشيات سوف تشهر السلاح في وجه كل من يحاول أن يقرب من قوة الحرس الشعبي. (توصيف يحيل إلى أن هذا التشكيل يمثل استنساخاً عراقياً لتجربة الحرس الثوري في إيران). إن الصحافي العراقي الذي وصف حكومة عبدالمهدي بالهشة والمهوشة اعتبر أن الرقم 237 سيكون مشؤوماً على رئيس الوزراء عادل عبدالمهدي، فقد يزاح من منصبه أو يطاح به في ليلة ليلاء إذا أصر على تمرير الأمر الديواني الذي يحمل الرقم 237. إن كانت كلمات المهندس تحمل رسالة أخرى إلى رئيس الوزراء الذي أصدر الأمر الديواني 237، وهي أن الحشد باق فاستعد للرحيل. والواقع أن أي رئيس حكومة سيأتي إلى العراق ستضخك منه الميليشيات إذا أصدر أمراً مثل الذي أصدره عبدالمهدي، لأن الجميع يعلم أن الحشد

ويريد المهندس بهذا الكلام توجيه رسالة تهديد مبطنة إلى العراقيين مفادها "نحن باقون ما دام الحشد باقياً ولن تجدي تظاهراتكم ولا اعتصاماتكم ولا حتى ثورتكم إذا ثرتم". وهذا الكلام يشبه ما يجري في افتتاحية العروض الدرامية الكبرى، فلا بد أولاً من إثارة انتباه الجمهور عن طريق قنابل صوتية (التهديد والوعيد)، وتعقب ذلك حرب الأدخنة من الأضاليل والشائعات، تلك كانت الصرخة الكبرى، التي أطلقها أبو مهدي المهندس، وهو يركب على ظهر حكومة عادل عبدالمهدي، التي وصفها أحد الصحافيين العراقيين بأنها "هشة ومهوشة"، وتوعد المهندس الحكومة ورئيسها وهدد مؤسساتها بالويل والثبور وعظائم الأمور إذا هي تجرأت وحاولت أن تقف في وجه "الحشد المقدس". تلك هي رسالة ولاية الفقيه إلى العراق نقلها المهندس إلى العراقيين. وفي سياق حديثه يفترض المهندس أنه إذا حدث وتم حل الحشد الشعبي فإن أي حادثة كافية لأن تجعله يعود ويتشكل مرة أخرى، مؤكداً أنه لن يجري حل هذه القوة في أي حال من الأحوال.

الابتزاز الإيراني

يخرج منها إلا ميتاً. الكل يدرك ذلك، ويدرك لماذا أيضاً. فخطر إيران يتجاوز برنامجها النووي، وإرهابها يمتد أكثر فأكثر عبر أذرع سياسية وعسكرية تنتشط في دول عدة. حتى الشق الاقتصادي لاتفاق وُلد مسخاً عقيماً بسبب انتهازية نظام الولي الفقيه. في مواجهة العقوبات الأميركية اليوم، تمارس إيران نفس الابتزاز الذي مارسته قبل أربعة أعوام. بذلك بعض أوراقها التي فاحت منها رائحة العفن، واستحدثت بعض الأساليب التي توأمت المرحلة الراهنة. فقد تغيرت مصالح الدول الست خلال هذه السنوات ويات من الأفضل ابتزاز كل واحدة منها على حدة. بالنسبة للروس فقد باتوا يريدون رحيل إيران من سوريا، والصينيون يستغلون طهران ورقة على طاولة مفاوضات حربيهم التجارية مع الأميركيين، أما الأوروبيون فهم أكثر عرضة للابتزاز الإيراني، ولكنهم يدركون أن طهران

بهاه العوام صحافي سوري

ما بُني على ابتزاز فهو باطل. الاتفاق النووي الإيراني شُيّد على ابتزاز طهران للمجتمع الدولي عبر التهديد بامتلاكها سلاحاً نووياً المنتصر الوحيد في الاتفاق كان إيران لأن كل ما تحقق من إنجازات سياسية واقتصادية للدول الست الكبرى بقي منقوصاً وجاء على حساب دول وشعوب منطقة الشرق الأوسط.

قبل أربع سنوات شاعت الأقدار أن تتلقى مصالح القوى الكبرى في دعم إيران. الروس أرادوها عوناً لهم في سوريا، والأوروبيون كانوا يتطلعون إلى سوقها الاستثمارية البكر، أما الصينيون فقد وجدوا لديها دعماً لشرق طريق حربيهم، فيما كانت الولايات المتحدة غارقة في مساعي باراك أوباما لنيل جائزة نوبل للسلام.

عندما وصل الرئيس دونالد ترامب إلى البيت الأبيض عام 2017 أرفعاً شعار "أميركا أولاً"، انهار الاتفاق النووي، ليس استعراضاً من ترامب وإنما هو تعارض للاقتناع مع مصالح واشنطن في الداخل والخارج. لم يجلب الاتفاق سلاماً للعالم ولحلفاء الولايات المتحدة في المنطقة، ولم يحمل من الأموال ما يشبع طمع ترامب. انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق يعني أنه دخل غيبوبة لن

د. باهرة الشيكلي
كاتبة عراقية

تجيب أبو مهدي المهندس، نائب رئيس هيئة الحشد الشعبي في العراق، بأن الحشد الشعبي حركة أمة وفتوى مرجعية ولا أحد مهما بلغت قوته يستطيع حله. إن كل من يقول إن الحشد سوف يحل لا تصدقوه، كما يؤكد المهندس نفسه، حتى لو كان رئيس الوزراء، وإذا حصل وحل الحشد فإن حادثة صغيرة ستجعله يتجمع بأفراده كلهم وأسلحتهم كافة، معتبراً أن حل الحشد "جريمة كبرى". إن وراء هذا الكلام الذي أطلقه ثاني رجل في الحشد الشعبي معان ودلالات كبيرة أولها استحالة قيام دولة مدنية أو دولة مؤسسات أو دولة قانون مادام الحشد باقياً. فهو تجمع ميليشياوي طائفي يعمل خارج القانون، وحتى لو تم دمجها بالجيش العراقي أو القوات الأمنية فهو سيحتفظ بخاصيته التي نشأ بها وعليها ولا يمكن الاندماج في التنظيم العسكري للجيش ولا القوات الأمنية.

بهاء العوام
صحافي سوري

لن تتخلى عن الاتفاق الحالي معهم، إلا إذا فتحت باباً مضموناً للتفاوض مع واشنطن. من تهديد الملاحة الدولية في مياه الخليج العربي، إلى التخلي التدريجي عن بنود الاتفاق النووي، مروراً باستهداف محطات طاقة وتجمعات تضم أميركيين في المنطقة، بالإضافة إلى الاعتداء على دول الجوار؛ كلها أدوات ابتزاز تمارسه إيران بحق العالم ككل والجوار العربي بشكل خاص. ابتزاز فقط وليس مقاومة.

لا تعتبر طهران اليوم أو حتى قبل أربع سنوات، مظلومة في المفاوضات على برنامجها النووي. لا يمكن التعاطف معها في مواجهة العقوبات الأميركية على برامج

